بداية الكتابة المصرية القديمة ومراحل تطورها

الباحثة / حنين عماد ايوب
ا.د احمد حبيب سنيد الفتلاوي
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

المستخلص:

من بين ما استعرضناه في هذا البحث بداية الكتابة المصرية القديمة وفيه تطرقنا الى اختراع الكتابة وما يعتقده بعض الباحثين من راي مفاده ان الكتابة نابعة من البيئة المصرية ومتطلبات الحياه فيها في حين ان هناك راي اخر لا يمكن تجاهله يذهب الى ان المصريين قد اخذوا فكرة الكتابة من حضارة العراق القديم وما ان تعلم المصريين القدماء الكتابة مرت بمراحل تطور كانت تتلائم مع العصر الذي ظهرت فيه من ناحية السرعة في الكتابة ففي المرحلة الاول كان الخط الهيروغليفي (المقدس) معقد ولا يتيح للكاتب ان يكتبه بسرعة فتوصل الى الخط الهيراطيقي (الكهنوتي) وكان عبارة عن تبسيط الخط الهيروغليفي واختصارة ثم ظهر الخط الديموطيقي (خط العوام) وكان نشوؤه من تبسيط الخط الهيراطيقي .

الكلمات المفتاحية :الكتابة ,الخط ,اللغة ,الجانب الديني ,الحياة العامة .

Abstract :

Among what we have reviewed in this research is the beginning of ancient Egyptian writing, and in it we touched on the invention of writing and what some researchers believe in the opinion that writing stems from the Egyptian environment and the requirements of life in it, while there is another opinion that cannot be ignored and goes that the Egyptians have taken the idea of writing from The civilization of ancient Iraq, and as soon as the ancient Egyptians learned to write, it went through stages of development that were compatible with the era in which it appeared in terms of speed in writing. Simplification of the hieroglyphic line and its abbreviation Then the demotic line appeared (the line of the common people), and its emergence was from the simplification of the hieratic line. ***Keywords***: writing, calligraphy, language, religious aspect, public life.

المقدمة:

تطرقنا في بحثا هذا الى اختراع الكتابة المصرية القديمة ومراحل تطورها بوصفها اعظم اختراع بشري عرفتة الإنسانية ، ولعل نشأة الكتابة المصرية القديمة يعود الى اقدم العصور القديمة ولقد تطورت لتصبح واحدة من أقدم انظمة الكتابة في العالم ولا يضاهيها في ذلك الأ حضارات بلاد الرافدين ولا يستبعد ان تكون فكرة الكتابة قد اخذت من حضارة العراق القديم بحسب ما يذهب اليه بعض الباحثين مستندين في ذلك على تشابه العلامات الصورية المصرية القديمة على ما يشابها من علاما صورية عثر عليها في العراق. مصرية كانت تعبير عن الحضارة والثقافه المصرية. ولقد كانت الحضارة المصرية حضارة مستقلة .

يتألف البحث من اربعة محاور تناولت في المحور الاول والذي عنون بـ(نشأة الكتابة) اختراع الكتابة في مصر القديمة ومراحل تطورها ثم تناولت في المحور الثاني (الخط الهيروغليفي) , وفيه تطرقنا الى التعقيدات التي ترافق الكتابه بهذا الخط والصعوبات التي يواجهها الكاتب عند تعلمه هذا الخط , اما في المحور الثالث فقد تناولت فيه (الخط هيراطيقي) وهو خط بسيط مقارنة بالخط الهيروغليفي وفي المحور الرابع تناولت (الخط الديموطيقي) الابسط مع الخط السابق.

وفيما يتعلق بالمصادر فقد اعتمدنا على عدد من المصادر القيمة منها كتاب الباحث (سمير اديب) المعنون بـ (موسوعة الحضارة المصرية القديمة) وكتاب الباحث (انطوان زكري) المعنون بـ (مفاتيح اللغة المصرية القديمة) وكتاب الباحث (خلف طايع) المعنون بـ (الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة) وغيرها من المصادر .

اولاً- نشأة الكتابة:

تعد الكتابة من اولى مظاهر تقدم الحضارة ، فهي الصفة المميزة لها، وهي الدليل الذي يميز المجتمع المتحضر عن غيره من المجتمعات غير المتحضرة وهي بالنسبة إلى العصور القديمة تفصل بين عهدين مختلفين عهد اقتصرت معلوماتنا عنه بالاثار المادية وحدها مما يعني عدم معرفتنا بما حصل فيه من أحداث وعقائد وافكار وبين عهد تميز بنصوصه وكتاباته، مما يعول عليه كثيراً فى دراسة مختلف نواحي النشاط فيه ولهذا يعد اول ظهور الكتابة بداية التاريخ الصحيح للأمم والشعوب على اختلافها[١].

وكان اختراع الكتابة اول خطوة في سبيل تقدم الإنسانية ، واقدم محاولة للاستفادة من دور العقل البشري، إذ كان تسجيل الافكار بالكتابة فتحاً جديداً في أفق الحضارة ، اكثر اهمية من كافه المعارك التي خاضها الانسان ومن كل الدساتير التي وضعها اذ مكنته الكتابة من تنمية مداركة واستغلالها في اخضاع الطبيعة لخدمته، وساعدته على نشر المعرفه وجمع التجارب والخبرة وتخليد المعلومات والافكار, ولا نكاد نعرف بدقة الوقت الذي اخترعت فيه الكتابة المصرية ولكننا نستطيع أن نقول انة كان قبل الاسرة الاولى[٢].

وهناك من الباحثين وفي مقدمتهم بطبيعة الحال المصريين من يذهب الى ان المصريون القدماء قد مارسوا الكتابة منذ بداية التاريخ دون ان ينقلوا شيئاً منها عن الحضارات الأخرى المعاصرة ، أو لم تستق جذورها من الخارج ولم تتأثر بمؤثرات اجنبية غير تأثير البيئة المصريه نفسها فقد كانت الكتابة نابعة من البيئة المصرية ومتطلبات الحياه فيها، وما بها من كائنات أخرى[٣]. الا ان هناك احتمال كبير جداً بان الحضارة المصرية اخذت من حضارة العراق القديم فكرة الكتابة في نهاية عصر ما قبل الاسرات والاسرة الاولى, فقد قدم الباحث (أ, وادل) دراسة قيمة اكد فيها على الاصل السومري للهيروغليفية وقدم حول هذا الموضوع جداول ومقارنات في غاية الاهمية[٤]. لا سيما ان الكتابة المصرية نفسها يعتقد انها نشأت في ارض الدلتا[٥]. في شمال مصر وهذه المنطقة تعرضت للمؤثرات الحضارية القادمة من ارض العراق القديم اكثر من غيرها من مناطق مصر القديمة ويؤرخ زمن انتقال الكتابة الى ارض مصر حسب عصور الحضارة العراقية القديمة في العصر الشبيه بالكتابي اذ انتشرت جملة تاثيرات حضارية من ارض العراق الى هناك وكان احدها حسب ما يذكر الباحث (طه باقر) هو تأثر المصريين القدماء بالكتابة الصورية العراقية القديمة واخذهم منها الحافز على ايجاد خطهم الهيروغليفي الخاص بهم فيما بعد[٦].

ان المتأمل للكتابة المصريه المنقوشة على النصب والهياكل الحجرية سيتبين له مدى رشاقة الاشكال المصورة وانسياب خطوطها ووضوحها مقارنة بغيرها من الكتابات الأخرى، لكن هذه الرشاقة والانسياب ما كانت كذلك في البداية, كما تظهر الادوات التي عثر عليها في منطقه ابيدوس، واستمرت بداية الكتابة في مصر القديمة حتى نهاية الأسرة الثانية ، اي في الربع الأول من الالف الثالث قبل الميلاد نحو سنة (٢٧٨٠ ق. م) ويمكن الملاحظة ان الكتابة في تلك الفترة كانت مستخدمة في حدود ضيقة اذ ان اغلب ما كتب بها كان اسماء اعلام شخصية , لكن البداية الفعلية لكتابة النصوص كانت خلال الاسرة الثالثة (٢٧٨٠- ٢٦٨٠ ق. م) وتحديد في حكم ملكها المعروف باسم (زوسر) او (جسر) أو (المقدس)[٧].

فقد بدأت الكتابة المصرية كغيرها من الكتابات القديمة بدايات تصويرية باستعمال صور للتدليل على أشياء وافكار لا كلمات، ثم اصبحت هذه الصور تدريجياً وبمضي الزمن مصطلحات مبسطة ومعقدة مربوطة في النهاية على كلمات منطوقة ، فأصبحت كل صورة تعبر عن كلمة معينه وقد تذهب الفكرة الاصلية وتحتفظ الصورة بقيمتها الصوتية واستعملت في كتابة

كلمات ذوات اصوات واحدة وبخاصة في كلمات اسماء الاشخاص او الكلمات ذوات الدلالة المعنوية التي لا يمكن تأديتها عن طريق الصور وبمرور الزمن استعملوا بعض الرموز للدلالة على العلامات الصوتية الساكنة[٨].

وعلى الرغم من ان الطور الصوتي استعملت فيه العلامات بهيئة مقاطع لكتابة الكلمات المختلفة, وكانت هذه الطريقة شبيهة بطريقة الكتابة الهجائية الا انها لم تكن هجائية صرفة فقد خصص المصريون القدماء مجموعتين من العلامات الصوتية الشبيهة بالهجائية, تتألف المجموعة الاولى من (٢٤ علامة) قوام كل منها حرف صحيح مقرونا به اي حرف علة من حروف العلة الموجودة في اصوات اللغة المصرية. والمجموعة الثانية هي علامات مقطعية صوتية شبيهة بالحروف الهجائية وقوام كل علامة حرفان صحيحان مقرونا بهما في الوسط او في الاخر اي حرف علة وبقيت الكتابة المصرية القديمة خليطة من الكتابة الرمزية والكتابة الصوتية المقطعية الشبيهة بالهجائية ولم تصل الى المرحلة الهجائية الصرفة ولكن حدث في شكل خطها تطورات وتبدلات مهمة مما ادى الى ظهور انواع من الخطوط[٩].

وقبل ان نتحدث عن اقدم كتابات اللغة المصرية القديمة ، وهي الكتابة المعروف بالهيروغليفية، فلعله من المنطق أن نشير إلى مسمى اللغة التي احتضنت هذه الكتابة وغيرها من الكتابات الاخرى ولقد اشار المصريون في نصوصهم إلى لغتهم بمسمات كثيرة من بينها (لسان العرب)، (فم مصر)، (كلام مصر)، و (كلام اهل مصر). كما عرفت ايضاً باسم (كلام الاله) او (الكلام المقدس) وعلى العموم فقد اعتقد قدماء المصريين أن لغتهم من مصدر الهى ، وتصوروا انه من المحال ان يكون هذا الاختراع البديع من عمل البشر اعتقدوا ان المعبود تحوت[١٠] هو الذي اختراع لهم الحساب والطب والحكمه وكل العلوم والفنون، وهو الذي وضع الكلمات الهيروغليفية, وقد بقيت لغتهم وكتابتهم اربعة الاف سنة بدون تغيير حتى ان المصرى فى عصر البطالمة كان يقرأ ويفهم نصوص الأسرة الأولى بدون عناء[١١]. وقد كتبت هذه اللغة بخطوط مختلفة[١٢] تبعاً لتطور الحضارة المصرية وهي كالاتي:-

اولاً- الخط الهيروغليفيي :

وهو نظام الكتابة المصرية القديمة وقد ظهرت الكتابة الهيروغليفية اولاً منقوشة على (الواح الأردواز) [١٣] التي يرجع تاريخها إلى عصر حضارة الجرزة المتأخرة وقد لوحظ أن هذه الكتابة قد استخدمت منذ البداية الرموز والعلامات (الاديوجرامية) (Ideo grams) [١٤] والرموز والعلامات (الفونوجرامية) (Phonogram) [١٥], ومن المعروف أن الكتابة باستخدام مثل هذه الرموز والعلامات قد نشأت اولاً في العراق القديم متطورة عن رموز وعلامات سابقة كانت تدون بطريقه اكثر بدائية[١٦].

ويعد الخط الهيروغليفي (الخط المقدس) من اقدم انواع الخطوط المصرية القديمة وقد ظل استعماله منذ اقدم اطواره في (٢٩٠٠ ق. م) الى نحو (١٠٠ ق . م) ، وظل محافظاً على شكله الصوري اي (شبة العلامات المستعملة بالصور) واستعمل لغرض نقش الكتابات المقدسة في المعابد والمآثر والقبور والتماثيل[١٧]. وسمي المصريين القدماء الكتابة الهيروغليفية (الخط الرباني) أو (الكلمات الإلهية)؛ لأنهم كانوا يعتقدون ان معبودهم تحوت الذي صوروه بشكل طائر ابو قردان ثم عبدوه كالاله للعلم والكتابة هو الذي اخترع الكتابة والذي سوف نتحدث عنه في الفصل الثالث , وقد استعملت كلمة هيروغليفى منذ سنة (٣٠٠ ق . م) وذلك عندما شاهد الاغريق هذه الكتابة الفرعونية محفورة على جدران المعابد المصرية القديمة، واطلقوا عليها تسمية الهيروغليفية (Hieroglyphs) وهي كلمة مركبة من شقين (هيرو) (Hero) بمعنى (مقدس) و(غليف) (glyph) بمعنى (حفراي) (الحفر المقدس) او (الكتابة المقدسة)[١٨] وتقرأ الكتابة الهيروغليفية حسب اتجاه الرموز، فإذا كانت الرموز متجه نحو اليسار قرأت بدايتها من اليسار، وإذا كانت الرموز متجهة نحو اليمين قرأت بدايتها من اليمين[١٩].

وقد اتبع المصري القديم منذ بدء الاسرة الاولى طريقة منظمة للكتابة ظلت تستعمل مدى (٣٥٠٠ سنة) وكانت تغطى جدران المعابد والمقابر في مصر والآلاف القطع المحفوظة اليوم في المتاحف وهذه الكتابة هي المعروفة ، بـ(كتابه الصور) والواقع ان كل علامة استخدمت كانت صورة لمخلوق ما او شيء ما[٢٠]. (شكل ١) فلكي يكتبوا الكتبة كلمة (سمكة) أو (سفنيه) او (بيت) رسموا رموزاً مصغرة [٢١].

والهيروغليفية في اساسها هي عبارة عن مجموعة من الصور ، تفوق الخمسمائة عداً ، وهي صور جميلة جداً بلغت من الدقة حد الروعة لأغلب مظاهر الحياة التي تهم اهل مصر، وتعد لوحة (الملك مينا)اقدم اثر معروف لها [٢٢].(شكل ٢) وعثر عليها في الكاب بالقرب من العرابة [٢٣] وهي محفوظة [٢٤] حالياً في المتحف المصري واللوحة من الاردواز ولها و جهان محفوران حفراً بارزاً على الوجه الامامي كتب اسم الملك في منتصف الجزء العلوي بالهيروغليفية داخل مربع وعلى جانبية رأسا بقرنين تمثلان الالهة حتحور وقد كتب اسم الملك مكونا من مقطعين نعر (nr) وعبر عنه بـ(السمكة) ، ومر (mr) وعبر عنه بـ(الإزميل) [٢٥] والكتابة المصورة تطورت من مثل هذه التركيبات الرمزية البسيطة، فكل صورة في هذه الكتابة تدل اولا على الشيء الذي تمثله، فالوجه الملتحي للرسم ( ) من منظور امامي يعبر عن الكلمة (حر–hr) اي (وجه)، وعندما يعبروا عن كلمه (نجم) يرسمون نجما ( ) هذه العلامات تعرف بالكتابة الرمزية او المصورة ideograms من (الكلمة الاغريقية idea بمعنى (شكل) gramme بمعنى (كتابة). اما الافعال التي تمثل عملا ندركه العين فقد كان من الممكن ايضاً التعبير عنها بالكتابة المصورة، وذلك برسم الفعل نفسة او الأداة التي يؤدى بها, فمثلاً الكلمة (عحا) بمعنى (يحارب) تعبر عنها صورة ذراعين تمسكان درعاً وفاساً حربيا ( )، والفعل (سش) بمعنى (يكتب) ، تمثله لوحه الكاتب ( ) وتتكون من لوح وقارورة وحامل من القصب (البوص) وللتعبير عن كلمة (يوم) استخدم الكاتب صورة الشمس ( ) وهكذا امكن استخدام الصورة في التعبير عن اعداد كبيرة من الأفكار[٢٦]. ولكي يعبروا عن شيء غير ملموس ، كالأعمال البدنية مثلاً رسموا رموزاً تبين احدى مراحل هذا العمل. مثل كلمة (يبصق) يكتبونها بشكل فم مع تيار من اللعاب[٢٧].

ثم جاءت خطوة اخرى اكثر تقدما في تطور الكتابة الهيروغليفية تمثلت بالتخلي التام عن المعنى الحرفي للصور واستخدام العلامات لكتابة الكلمات التي لا علاقة لها بمعنى الصورة, وانما تقتصر علاقتها على الصوت وحده , فمثلاً المصريين كتبوا الفعل (برى) ومعناه (يدخل) في صورة بيت ( ) او تخطيط بيت؛ لان الكلمة الدالة على البيت تحتوي على نفس الحروف الساكنة التي يحتويها الفعل (يدخل) وهكذا اصبح من السهل في هذه الحالة ان تعبر العلامة الهيروغليفية ( ) عن كلمة برى بيت[٢٨]. وهكذا تم الانتقال من التعبير بالصور عن الاشياء الواقعية، إلى التمثيل الصناعي للأصوات في اللغة, فالرموز تبين صوراً ولا تبين كلمات . اما الأفكار فلا يمكن التعبير عنها بالصور ولا بد من استخدام الاصوات لتدل على الكلمة فى لغة بعينها[٢٩].

وبناءً على ما تقدم فان العلامات الهيروغليفية تنقسم الى نوعين (علامات صوتية) و(علامات معنوية) , والعلامات الصوتية تعبر عن اصوات وليس لها معنى مطلقا . اما العلامات المعنوية فهي تمثل معاني مجردة من كل صوت وتقسم العلامات الصوتية الى قسمين العلامات الهجائية والعلامات المقطعية ويبلغ عدد الاحرف الهجائية اربعة وعشرون حرفاً . اما العلامات المقطعية هي نوع من العلامات المختلفة الواحدة منها تقوم مقام حرفين او ثلاثة حروف من الحروف الهجائية وهي كثيرة ولكن مائه واربعين منها كثيرة الاستعمال والباقي استعماله نادر[٣٠]. فكان يتوجب على كل كاتب ماهر ان يتعلم على عدد من العلامات عندما يكتب بالهيروغليفية وهي كالاتي:

١– العلامات التصويرية Ideographic Signs :

وهي العلامات التي كانت تمثل وتعني الأشياء المرسومة بذاتها. وبتعبير آخر كان المصرى القديم يعبر عن الكلمة برسم الشئ الذي يمثلها، كما أنها في بعض الأحيان كانت تعنى أفكارا وثيقة الصلة بالشئ المرسوم مثل : (شس) ( ) وهي تصور ادوات الكاتب وتعني الكتابة و(شرت) ( ) (انف) [٣١].

٢– المخصصات Determinative Signs:

أما المخصص فهو أيضا علامة تصويرية توضع في نهاية الكلمة لتحديد الفئة التي تنتمي إليها الكائنات أو الأحداث التي تعنيها الكلمة، وليس للمخصصات أي مقابل صوتي. وهذه المخصصات شبيهة بالمفاتيح . مثال ذلك العلامة الهيروغليفية التي تمثل رجلا يضع يده على فمه، فهذه العلامة تحدد المدلولات التي لها ارتباط بالفم مثل () (سجد) بمعنى يحكى. (جر) ( ) بمعنى يصمت . () (ماع خرو) صادق القول[٣٢].

٣- علامات مساعدة Ouxiliary Signs:

وهي علامات تساعد على تحديد معنى الكلمة وتفسيرها وهي تتبع الكلمة أيضا ولا مقابل لها صوتيا . مثل العلامة ( ) وهي تمثل رجلين فى حالة سير وهي تتبع أفعال الحركة مثل ( ) يتقدم.. وكذلك قرص الشمس( ) الذى يتبع أفعال الزمن مثل () (سف) وتعنى أمس، () (وين) بمعنى يشرق، ( ) (حح) الأزل[٣٣].

٤ - علامات صوتية Phonetic Signs:

يمكن استعمال العلامة التصويرية بصرف النظر عن شكلها (معناها) ، ولكن لإدخال منطوقها واستخدامه كمقطع ضمن تركيب كلمة، وهذه العلامات إما أن تكون مقطعية لأكثر من حرف أو هجائية لحرف واحد. وهي كالاتي:

أ - العلامات المقطعية Sylabic Signs :

وهي علامات صوتية تتكون من أكثر من حرف وهي إما ثنائية او ثلاثية[٣٤]

ب - العلامات الهجائية Alphabetic Signs:

وهي علامات صوتية تعبر عن صوت واحد ويمكن استعمال أكثر من علامة لتكوين كلمة وقد تشترك كلمة واحدة فى كل ما سبق، فقد تكون الكلمة علامة تمثل رمز الكلمة أو علامة صوتية أو علامة مخصصة , وقد احتوت الهيروغليفية على عدد هائل من العلامات والمترادفات التي تبعد عن الكلمة الواحدة ويبلغ عدد العلامات لدى (المعهد الفرنسي للآثار الشرقية) على سبيل المثال أكثر من ستة آلاف علامة هيروغليفية، ومع ذلك قد يحتاج الأمر عند نشر أي نص جديد من العصر المتأخر إلى القيام برسم بعض العلامات التي لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت[٣٥] . ولان الخط الهيروغليفي يميل الى الاختزال وصعوبة تعلمه فقد تم اختراع الخط الهيراطيقي .

ثانياً- الخط الهيراطيقي :

اشتقت كلمة "هيراطيقي" من الكلمة اليونانية (هيراتيكوس) (Herati kos) وتعني (كهنوتي) اشارة الى ان الكهنة كانوا اكثر الناس استخداماً لهذا الخط، اذ ان نسبة كبيرة من النصوص الهيراطيقية (وخاصة في العصور المتأخرة) هي نصوص دينية، وكتب معظمها بواسطة الكهنة, وقد كان يكتب الخط الهيراطيقي بقلم القصب (البوص) والحبر, اما الخط الهيروغليفي فكان يكتب بالآلات الحادة كالأزاميل[٣٦].

ومعنى اسم هيراطيقي (كتابة او خط الكهنة) ومنشؤه التاريخى من تبسيط الخط الهيروغليفي واختصارة, اذ ان القوم شعروا منذ ازمان قديمة ان الكتابة الهيروغليفية ثقيلة سمجة، كما انها لا تصلح ان تكتب كتابة سريعة في ورق البردي بالحبر والقلم، ولصعوبة ضبط تادية الصورة على مثل هذا الورق، فقد بدأ الكتبة يحورون فى الهيروغليفية الصورية ويسبطون فيها واختصروا فيها ايضاً فنشأ بمرور الأزمان الخط الهيراطيقي وهو طريقة سريعة فى الكتابة ونسخته[٣٧] ويغلب على هذه الكتابة (التشبيك) اي ان العلامات مربوطة بعضها ببعض وهي في اغلب الأمر ممدودة جداً الا في العلامات الأولى التي تتجزأ إلى خطوط تقريباً[٣٨]. (شكل ٣)

كان اغلب استخدام الخط الهيراطيقي على أوراق البردي واحياناً على الأحجار والاخشاب وكانت الكتابة من اليمين إلى اليسار سطورة إما افقية او راسية ولم يستعمل الأ في عصر الدولة القديمة[٣٩] وكان استعماله نادراً, ويقسم هذا الخط الى

نوعين الأول يسمى (الهيراطيقي) وهو الخط المختصر الواقف وكل حروفه منفصلة عن بعضها في رسم القلم ، والنوع الثاني المعروف بـ (الكرسيف) وهو خط مائل وتساعد كتابته على الاسراع وتتصل احيانا كلماتة بعضها ببعض بدون فواصل(٤٠).

خصص الخط الهيراطيقي للكتابة الدينية، الا انه استخدم ايضاً في ادارات الدولة المختلفة والحياة اليومية ، وعلى الرغم من ان غالبية نصوصه دينية وتكتب على اوراق البردي بواسطه الحبر و القصب (البوص)، خصوصاً تلك النصوص التي تعود الى العصور المتأخرة ، فان العثور على قطع صغيرة من البردي سجل عليها نص بالخط الكهنوتي (الهيراطيقي) وجد في معبد جنائري خاص بالملك (ساحو رع) ، يدل على أن استخدام هذا الخط يعود الى الدولة القديمة ، وتحديداً الاسرة الخامسة(٤١).

وتثير الدلائل العلمية إلى استمرار هذا الخط في الحياة اليومية في مصر حتى العصر الروماني , ويجدر بنا الاشارة الى امرين: الأول: ان حروفه لينة , وسطورة افقية ورأسيه والثاني ان نصوصاً بهذا الخط وجدت – إضافة الى اوراق البردي منقوشة على الاحجار والاخشاب ، لكن على نطاق ضيق(٤٢).

ويبدو ان الهيراطيقية فقدت قوتها في حوالي سنه ٨٠٠ ق.م . وسرعان ما ظهرت طريقة كتابة اخرى عرفت باسم (الهيراطيقية الشاذة) في مصر العليا ، ثم ظهرت الديموطيقية التي حلت بالتدريج محل الهيراطيقية في جميع الأغراض العادية. اما الهيراطيقية القديمة التي توجد في نصوص الدوله الحديثة فأخذت منذ ذلك الوقت، صورة لم تتغير الا في شئ من تفاصيلها ، وصارت الكتابة الخاصة بالنصوص الدينية على اوراق البردي، و لذا اطلق عليها السياح الإغريق اسم الهيراطيقية ، أي (الكتابة المقدسة) وذلك لاستعمالها في النصوص المقدسة(٤٣). وتسمى الهيراطيقية ايضاً بـ (المصرية المتأخرة) . وقد أبدا استخدامها من النصف الثاني للأسرة الثامنة الى الأسرة الرابعة والعشرين من حوالي١٣٧٥ الى ٧١٥ ق . م ولكن اقتصر استخدامها على الوثائق التجارية. والخطابات ولم يكتب بها على الآثار الأ في الأسرة التاسعة عشرة تقريباً(٤٤).

ثالثاً– الخط الديموطيقي :

كلمة يونانية معناها شعبي نسبة الى الشعب وتعرف بلغتهم (موت رم ن كي) اي لسان اهل مصر وصارت هذة اللغة المتداولة في الأمة واقتصرت اللغة المصرية القديمة على الأمور الدينية(٤٥).

ومعنى اسم هذا الخط (خط العوام) او (الجمهور) ونشوؤه التاريخي من تبسيط الخط الهيراطيقي وايجازه مرحلة أبعد، اذ بدأ الكتبة فى نهاية السلالة (الثانية والعشرين) وفي عهد السلالة (السادسة والعشرين) (٩٤٧-٦٦٣ – ٥٢٥ق.م) اي منذ القرن العاشر والتاسع قبل ميلاد يبسطون ويختصرون في الخط الهيراطيقي مرحله ابعد، فأوجدوا منة علامات اصطلاحية، حذفت منها جميع العلامات الباقية من الهيروغليفية مما ظل محافظاً على شكله الصوري وحل الديموطيقي محل الهيراطيقي . (شكل ٤) والجدير بالذكر انا هيردوتس لم يذكر من خطوط الكتابة المصرية سوى خطين وهما الخط الهيروغليفي والخط الديموطيقي ولم يذكر الخط الهيراطيقي والسبب ان هذا الخط قد اختفى من الاستعمال في عهد" هيرودوتس"(٤٦).

وكتب الخط الديموطيقي على اوراق البردي وقطع الفخار (الأوستراكا)(٤٧) وقد استمر مستخدماً فترة تزيد على الألف ومائتي سنة , وهو يتبع نظام الكتابة افقياً مبتدئاً من اليمين ، ورغم مزايا الاختزال وسرعة الكتابة وجودته إلا أن عيبه كما ذكر (برجرين) يكمن في صعوبة فك رموزه. ولنا ملاحظه على التعريف المعطى لهذا الخط وهو (العامة) إذ ان كلمه العامة لا تعني على الاطلاق ان العامة كانوا يعرفون الكتابة والقراءة ، فمهنة الكتابة شبة محتكرة ومتداولة بين طبقة الكهان و الكتبة، الذين يتوارثون المهنة ، فيقول برجرين ان نسبة من يعرف الكتابة والقراءة في مصر الفرعونية لا يتجاوز ١ ٪ وقد يصل الى ١٠٪ في الأسكندرية وحدها فقط(٤٨).

والخط الديموطيقي كان يمثل اللغه المصرية القديمة التي كان يتكلمها اهل الدلتا وقد ضاعت اقدم المستندات، ولم نعرف هذا الخط الا منذ عهد الغزو الصاوى للجنوب. ظلت الديموطيقية ، حوالي (١٠٠ سنه) ، صورة الكتابة العامة على

نقيض الهيروغليفية التي لم تستعمل الا في النقش على الاحجار، والهيراطيقية التي اقتصر استعمالها على الادب الديني والديموطيقية كتابة سهله واضحه، ولكنها متطورة كثيراً فتضمنت روابط ومختصرات لكثير من العلامات، والمجموعات السطحية العسيرة القراءة، وبمرور الزمن توقف عن التغير واتخذت صورة ثابتة[٤٩].واخيراً يقسم زمن انتشار هذا الخط الى ثلاثة عصور :

١ _ العصر الأول : فيه ابتدأ الخط واللغة الديموطيقية وكانت حروفه تشبه احرف الخط الهيراطيقي ويبتدئ تاريخه من عهد الملك (بسامتيك الأول) وينتهي في عصر البطالمة (اى من سنه ٦٦٥ الى سنة ٣٠٥ ق. م)

٢ _ العصر الثاني (مصر ارتقاء الانشاء) قد حسنوا الخط الديموطيقي وتفننوا في أساليب الانشاء واقتنت جميع متاحف برلين وباريز ولندن و تورينو من الاوراق البردية التي كانت في ذلك العهد وجميعها منقول من قبور طيبة بالأقصر.

٣ – العصر الثالث (العصر الروماني) فيه اتقن الخط الديموطيقي وقواعده لم تختلف في شيء عن قواعد اللغة القبطية ابطل نصارى مصر هذه الكتابة لتعقيدها وصعوبتها فاستبدلوها بالقبطية[٥٠].

ومن الطريف ذكره ان اللغة المستخدمة في مصر تسببت في مشكلة قانونية، وخصوصا اللغه الشعبية (الديموطيقية) ، التي وصلنا من الوثائق المكتوبه بها اكثر من ثلاثة الاف وثيقة، ترجع كلها الى أواخر العصور الفرعونية، وإلى العصر اليوناني الروماني. وحسما لأي تضارب حول نوعية القانون المطبق ، فقد اصدر بطليموس بورجينيس الثاني (١١٨ ق. م) قرارا يقضي بأن لغة الوثيقه هي التي تحدد القانون الذي يسرى عليها؛ فإذا كانت مكتوبة باليونانية ، طبق عليها القانون اليوناني؛ واذا كانت مكتوبة بالديموطيقة، طبق عليها القانون المصري، بصرف النظر عن جنسية المتقاضين[٥١]. ولا عطاء فكرة واضحة عن الاهمية التي تمثلها الوثائق المكتوبة بالديموطيقية نشير الى انها تتوفر في ثلاثة مستويات مختلفة : المستوى الأول مثل "رساله الحارس..." وهو يتعلق بالعلاقات التي كانت قائمة بين مختلف الآليات الإدارية. والمستوى الثاني يتعلق بالوثائق التي تلقي الضوء على العلاقات التي كانت تقوم بين الممولين المصريين والادارة، مثل الاقرارات المتعلقة بالماشية الصغيرة واقرارات الضمان التي بموجبها كان يصبح شخص ضامنا لشخص اخر. واخيراً توجد وثائق ديموطيقية أخرى توفر لنا المعلومات عن الحياة المصرية وحدها: مثل لوائح الجمعيات الدينية[٥٢].

الاستنتاجات

١– هناك قسم من الباحثين من يعتقد ان الكتابة المصرية مستوحاة من الطبيعة والحياة اليومية والظواهر المختلفة التي مر بها الإنسان المصري القديم مما أدى إلى توصله الى اختراع الكتابة الا ان هناك قسم اخر من الباحثين من يعتقد ان فكرة الكتابة قد اخذت من حضارة العراق.

٢– عرف المصري القديم ثلاثة أنواع من الخطوط القديمة، أولها الخط الهيروغليفي (الخط الرباني أو المقدس) ونظرا لصعوبة تدوين هذا الخط، فقد اهتدى الكاتب في مصر القديمة الى نوع آخر، هو الخط الهيراطيقي الاكثر بساطة وسرعة من الخط السابق ثم توصل الكاتب بعد ذلك الى الخط الديموطيقي.

٣–يعد الخط الهيروغليفي من اعقد الخطوط التي كتب بها المصري القديم وكان تعلم هذا الخط يحتاج وقت كثير وجهد مضني من قبل الشخص الذي يتعلمه .

هوامش البحث :

---

(١) ابراهيم احمد رزقانة و اخرون, حضارة مصر والشرق القديم ,مكتبة مصر ,ص٧١ .

(٢) سمير اديب ,موسوعة الحضارة المصرية القديمة,ط١,العربي للنشر والتوزيع ,القاهرة ,٢٠٠٠,ص٦٧٠,٦٧١.

(٣) السيدالسيد النشار, تاريخ الكتب والمكتبات في مصر القديمة ,دار الثقافة العلمية ,الاسكندرية ,١٩٩٩,ص١٦.

(٤) للمزيد من المعلومات حول هذه الجداول ينظر: وادل, أ, الاصول السومرية للحضارة المصرية, ترجمة زهير رمضان, ط٢, عمان, ٢٠٠٩, ص

٥() نخبة من العلماء ,تاريخ الحضارة المصرية ,م١,مكتبة النهضة المصرية ,القاهرة ,ص٧١ .

٦() باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ج٢, ط٢, بغداد, ١٩٥٦, ص٢٦-٢٧.

٧() سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذيب , الكتابة في الشرق الادنى القديم من الرمز الى الأبجدية ,ط١, الدار العربية للمؤسسات , بيروت /لبنان ٢٠٠٧,ص٦٤.

٨() خلف طايع ,الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة ,ص٦٠,٦١.

٩() باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة فارس _الاغريق _الرومان , ج٢, ط١, دار الوراق للنشر المحددة , بغداد,٢٠١١,ص١٤٠.

١٠() تحوت : الإله القمرى مثل على هيئة الطائر "أبيس" (أبو منجل) أو إنسان له رأس هذا الطائر ولا نعرف منبته الأصلى. ولكن المؤكد أنه منذ عصور موغلة في القدم قد أصبح رب مدينة الأشمونين "هر مويوليس"، ولقد اعتبر رباً للكتابة واعياً للكتبة، وأيضا الإله المشرف على عملية حساب الوقت. ينظر : جي راشية، الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية، ترجمة : فاطمة عبد الله محمود مراجعة ٢ محمود ماهر طه، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦،ص١٤٣، ١٤٤.

(١١) انطوان زكري ,مفتاح اللغة المصرية القديمة ,ط١,مكتبة مدبولى ,القاهرة ,١٩٩٧,ص ١٢-١٤.

١٢() عبد الحليم نور الدين ,اللغة المصرية القديمة ,ط٩,القاهرة ,٢٠١١,ص٣١.

(١٣) الواح الأردواز : الواح حجرية عبارة عن صخر طيني متحول متورق دقيق النسيج او الحبيبات تظهر فيه خاصية تصفح أو تفسخ بشكل جيد التطور وينشا من تاثير الضغط العالي على الرواسب الطينية , مشكلا صفائح صفائح يصعب فصلها عن بعض . ينظر: محمد عبد الغني عثمان مشرف ,المعجم الجيولوجي المصور ,م٤,ص١٨٠٧.

(١٤) الاديوجرامية (ideograms) : من الكلمة الاغريقية (idea) بمعنى (شكل) و(gramme) بمعنى (كتابة) اي الكتابة الرمزية او المصورة. ينظر: ج.شئيذورف ك .سيل ,عندما حكمت مصر الشرق ,ترجمة :محمد العزب موسى مراجعة :محمود ماهر طه,ط١,مكتبة مدبولى ,القاهرة ,١٩٩٠,ص١٤١.

(١٥) الفونوجرامية Phonogram: تدل على الاصوات بااستخدام رموز تدل على تحديد المعنى. ينظر :ثريا محمد راشد ,النقوش والرموز القديمة وارتباطها بالكتابة , مجلة جامعة صبراتة العلمية ,العدد٢ ,٢٠٢٠,ص١٠١.

(١٦) سيريل الدريد, الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ,ترجمة وتحقيق :مختار السويفي مراجعة وتقديم :احمد قدرى ,ط٣ ,الدار المصرية اللبنانية ,١٩٩٦,ص٧٠,٧١.

(١٧) طة باقر ,مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة فارس _الاغريق _الرومان ,ج٢,ط١ ,دار الوراق للنشر المحدودة ,٢٠١١, ص١٤١,١٤٢.

(١٨) محمد حماد ,تعلم الهيروغليفية لغة مصر القديمة واصل الخطوط العالمية ,ط١,الهيئة المصرية العامة للكتاب ,١٩٩١,ص١٢.

(١٩) سامح مقار ,المعجم الوجيز (هيروغليفي _عربي)الخط الهيروغليفي في الدولة الوسطى ,ط١ ,الهيئة المصرية العامة للكتاب ,القاهرة ,٢٠٠٧,ص٩.

(٢٠) الن شوزتر ,الحياة اليومية في مصر القديمة ,ترجمة :نجيب ميخائيل ابراهيم مراجعة٢محرم كمال ,مكتبة الانجلو المصرية ,ص١٠٩.

(٢١) ابراهيم ابراهيم عناني ,حجر رشيد وعلم المصريات ,١٩٩٩,ص٢١.

(٢٢) علي فهمي خشيم ,الهة مصر العربية ,م١ ,ط١,مطبعة افريقيا الشرق ,١٩٩٠ ,ص١٥٤.

(٢٣) العرابة :وهو الاسم الذي اطلقة المشتغلون بالدراسات المصرية القديمة على بلدة واثار "العرابة المدفونة "وهي على حافة الصحراء غربي مدينة البلينا بمحافظة سوهاج , وكان اسمها القديم "ابدو "وكتبة اليونانين "ابيدوس. ينظر:سمسر اديب ,موسوعة الحضارة المصرية ,ط١,العربي للنشر والتوزيع ,القاهرة ,٢٠٠٠, ص٣٠.

(٢٤) حول وصف شكل لوحه الملك مينا وما تضمنته من مشاهد ينظر: سمير اديب ,تاريخ وحضارة مصر القديمة ,مكتبة الاسكندرية ,١٩٩٧,ص٤٩.

(٢٥)خلف طايع,الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة ,ص٦١,٦٢.

٢٦() ج .شئيذورف ك .سيل ,عندما حكمت مصر الشرق , ص١٤١.

(٢٧) ابراهيم ابراهيم عناني ,حجر رشيد وعلم المصريات ,١٩٩٩,ص٢١.

٢٨() ج .شئيذورف ك .سيل ,عندما حكمت مصر الشرق , ص١٤٢.

(٢٩) سمير اديب ,موسوعة الحضارة المصرية القديمة ,ص٨٤٤.

(٣٠) انطوان زكري ,مفتاح اللغة المصرية القديمة ,ص٣٧,٣٨.

(31) Gardiner, S,A, Egyptain Grammar, Oxford, 2001, p.440.

(32) Gardiner, S,A, Egyptain Grammar, p.441.

(33) Gardiner, S,A, Egyptain Grammar, p.442.

(٣٤)خلف طايع,الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة ,ص٧٢.

(٣٥)خلف طايع,الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة ,ص٧٣.

٣٦() عبد الحليم نور الدين ,اللغة المصرية القديمة ,ص٣٨,٣٩.

٣٧() طة باقر , مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ,ص١٤٢.

٣٨() سير الن جاردنر, مصر الفراعنة ,ترجمة :نجيب ميخائيل ابراهيم مراجعة:عبد المنعم ابو بكر ,الهيئة المصرية العامة للكتاب ,١٩٧٣,ص٣٥.

٣٩() الدولة القديمة : وتعرف بعصر بناة الأهرام كناية عما شيدة ملوك هذه الفترة من أهرامات ، كما تعرف كذلك (بالعصور المنفية) نسبة إلى مدينة منف التي ظلت العاصمة طوال هذه الفترة. وتشمل الدولة القديمة الاسرات من الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة أي من ٢٦٨٦ إلى ٢١٨١ ق . م . ينظر :سمير أديب، تاريخ وحضارة مصر ،ص٥٩.

٤٠()انطوان زكري ,مفتاح اللغة المصرية القديمة ,ص١١٤.

٤١()سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذيب ,الكتابة في الشرق الادنى القديم , ص٨٠.

(٤٢) سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذيب ,الكتابة في الشرق الادنى القديم ,ص ٨٠,٨١.

(٤٣) ابراهيم ابراهيم عناني,حجر رشيد وعلم المصريات ,ص٤٢,٤٣.

(٤٤) خلف طايع ,الحروف الاولى دراسة في تايخ الكتابة ,ص٦٦.

(٤٥) انطوان زكري ,مفتاح اللغة المصرية القديمة ,ص١١٧.

(٤٦) طة باقر ,مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ,ص١٤٢,١٤٣.

٤٧() الأوستراكا :كلمة يونانية الأصل ostraca بمعنى قطعة مكسورة، ويقصد بها علماء الآثار في كتاباتهم اي قطعة مكسورة من أناء من الفخار او اي شطفة من الحجر، وخصوصا الحجر الجيري الأبيض، استخدمها القدماء للكتابة عليها. ينظر :سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية، ص٢١٣.

(٤٨) سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذيب ,الكتابة في الشرق الادنى القديم ,ص٨١

٤٩() ابراهيم أبراهيم عناني ,حجر رشيد وعلم المصريات ,ص٤٠.

٥٠() انطوان زكريا ,مفتاح اللغة المصرية القديمة ,ص١١٨.

[٥١]( )محمد فياض ,المرأة المصرية القديمة ,ط١,دار الشروق ,القاهرة ,١٩٩٥,ص٥٠.

[٥٢]( )جونيفييف هوسون ودومينيك فالبيل, الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الاوائل الى الاباطرة الرومان ,ترجمة :فواد الدهان مراجعة :زكية طبوزادة,ط١,دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع, القاهرة ,١٩٩٠,ص١٩٨.

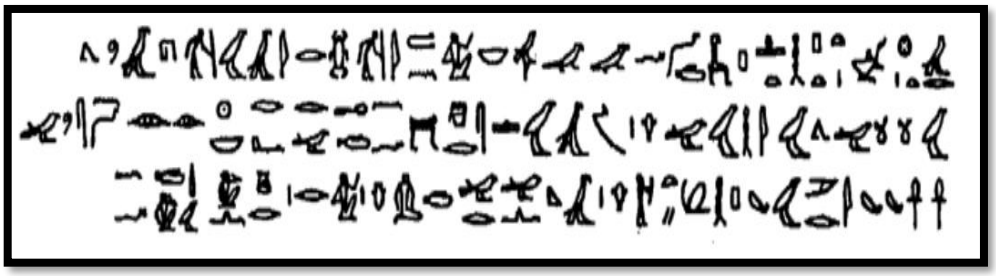

(شكل ١)
الكتابة الهيروغليفية
طايع, خلف,الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة ,ص٦٦.

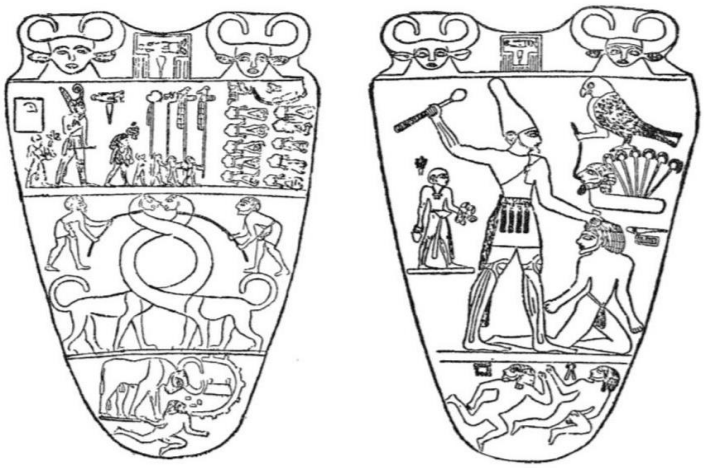

(شكل ٢)
عبد القادر حمزة ,التاريخ المصري القديم ,مطابع الشعب ,١٩٥٧,ص٢٥.

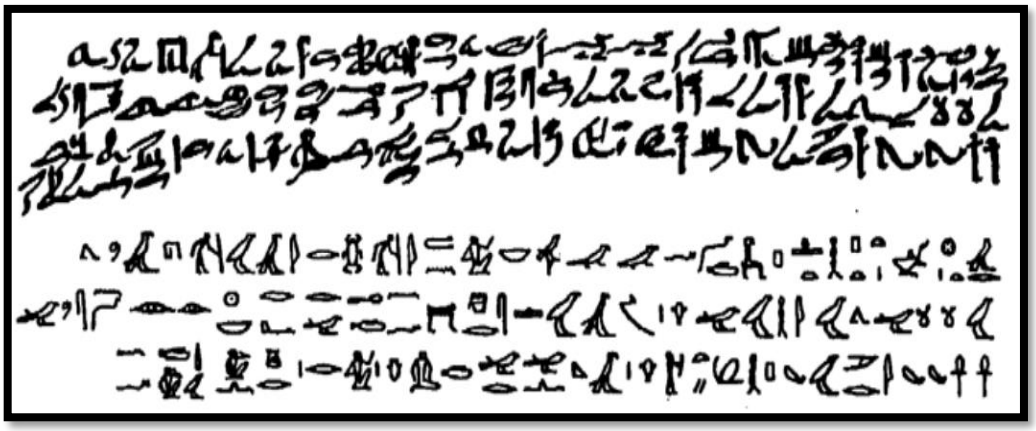

(شكل ٣)
في الاعلى كتابة هيراطيقية وتحتها النص نفسه مكتوب بالهيروغليفية
طايع, خلف,الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة ,ص٦٦.

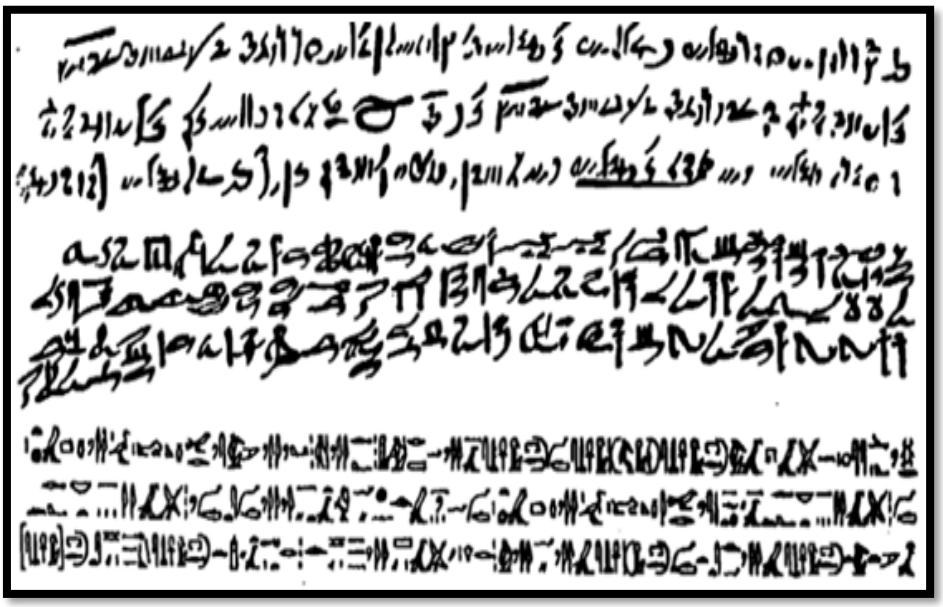

(شكل ٤)
في الاعلى الكتابة الديموطيقية وفي المنتصف الكتابة الهيراطيقية وفي الاسفل الكتابة الهيروغليفية
طايع, خلف,الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة ,ص٦٦.

قائمة المصادر:

١- ابراهيم ابراهيم عناني ,حجر رشيد وعلم المصريات ,١٩٩٩.

٢- ابراهيم احمد رزقانة و اخرون, حضارة مصر والشرق القديم ,مكتبة مصر .

٣- انطوان زكري ,مفتاح اللغة المصرية القديمة ,ط١,مكتبة مدبولى ,القاهرة ,١٩٩٧.

٤- باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ج٢, ط٢, بغداد, ١٩٥٦.

٥- ثريا محمد راشد ,النقوش والرموز القديمة وارتباطها بالكتابة , مجلة جامعة صبراتة العلمية ,العدد٢ ,٢٠٢٠.
٦- ج.شئيذورف ك .سيل ,عندما حكمت مصر الشرق ,ترجمة :محمد العزب موسى مراجعة :محمود ماهر طه,ط١,مكتبة مدبولى ,القاهرة ,١٩٩٠.
٧- جونيفييف هوسون ودومينيك فالبيل, الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الاوائل الى الاباطرة الرومان ,ترجمة :فواد الدهان مراجعة :زكية طبوزادة,ط١,دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع, القاهرة ,١٩٩٠.
٨- جي راشية ,الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية ,ترجمة :فاطمة عبد الله محمود مراجعة ٢ محمود ماهر طه ,ط١ ,المجلس الاعلى للثقافة ,القاهرة ,٢٠٠٦.
٩- خلف طايع ,الحروف الاولى دراسة في تاريخ الكتابة.
١٠- سامح مقار ,المعجم الوجيز (هيروغليفي _عربي)الخط الهيروغليفي في الدولة الوسطى ,ط١ ,الهيئة المصرية العامة للكتاب ,القاهرة ,٢٠٠٧.
١١- سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذيب , الكتابة في الشرق الادنى القديم من الرمز الى الأبجدية ,ط١, الدار العربية للمؤسسات , بيروت /لبنان ٢٠٠٧.
١٢- سمير اديب ,تاريخ وحضارة مصر القديمة ,مكتبة الاسكندرية ,١٩٩٧.
١٣- سمير اديب ,موسوعة الحضارة المصرية القديمة,ط١,العربي للنشر والتوزيع ,القاهرة ,٢٠٠٠.
١٤- السيد السيد النشار ,تاريخ والمكتبات في مصر القديمة ,دار الثقافة العلمية,الاسكندرية,١٩٩٩.
١٥- سير الن جاردنر, مصر الفراعنة ,ترجمة :نجيب ميخائيل ابراهيم مراجعة:عبد المنعم ابو بكر ,الهيئة المصرية العامة للكتاب ,١٩٧٣.
١٦- سيريل الدريد, الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ,ترجمة وتحقيق :مختار السويفي مراجعة وتقديم :احمد قدرى ,ط٣ ,الدار المصرية اللبنانية ,١٩٩٦.
١٧- عبد الحليم نور الدين ,اللغة المصرية القديمة ,ط٩,القاهرة ,٢٠١١.
١٨- عبد حمزة ,التاريخ المصري القديم ,مطابع الشعب ,١٩٥٧.
١٩- علي فهمي خشيم ,الهة مصر العربية ,م١ ,ط١,مطبعة افريقيا الشرق ,١٩٩٠ .
٢٠- محمد حماد ,تعلم الهيروغليفية لغة مصر القديمة واصل الخطوط العالمية ,ط١,الهيئة المصرية العامة للكتاب ,١٩٩١.
٢١- محمد عبد الغني عثمان مشرف ,المعجم الجيولوجي المصور ,م٤.
٢٢- محمد فياض ,المرأة المصرية القديمة ,ط١,دار الشروق ,القاهرة ,١٩٩٥.
٢٣- محمود ماهر طه,ط١,مكتبة مدبولى ,القاهرة ,١٩٩٠.

٢٤- الن شوزتر ,الحياة اليومية في مصر القديمة ,ترجمة :نجيب ميخائيل ابراهيم مراجعة٢محرم كمال ,مكتبة الانجلو المصرية .

٢٥- نخبة من العلماء ,تاريخ الحضارة المصرية ,م١,مكتبة النهضة المصرية ,القاهرة .

٢٦- وادل, أ, الاصول السومرية للحضارة المصرية, ترجمة زهير رمضان, ط٢, عمان, ٢٠٠٩.

27-Gardiner, S,A, Egyptain Grammar, Oxford, 2001.